

بناء الثقة في خطاب الوردية

عبد المجيد نوسي

0 - مقدمة

نهدف في هذه الدراسة إلى تحليل آليات بناء الثقة في الخطاب السياسي من خلال نموذج محدد هو خطاب البرنامج. ويتعلق الأمر بخطاب البرنامج الذي قدمه حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية في استحقاقات 27 شتنبر 2003. (1)

وبصرف النظر عن الإطار التيماتيك للبرنامج الذي يتمحور حول مقترحات سياسية واقتصادية واجتماعية قائمة على أرقام وتحليلات اقتصادية واجتماعية وإجرائيات، ستحاول الدراسة الاهتمام خاصة بالآليات التي يعتمدها البرنامج بصفته أيضا خطابا، يتحقق اعتمادا على أطراف تنتجه وأخرى تستقبله، كما أنه يستند إلى إجراءات في التركيب والبناء والتقديم تهدف إلى إقناع المتلقي وبناء ثقة بين الطرفين، تسمح بأن تجعل المتلقي يتلقى الخطاب ويعتقد فيه، ويقبل بأن يكون فاعلا في سياق العقد الذي يطرحه المتلقي.

ويرتكز الاهتمام من هذا المنظور على الآليات والخصائص التي يتضمنها القول (2) والتي تمكن من أن يظهر الخطاب حقيقيا، ويؤول في الطرف الثاني من القطبية التفاعلية على هذا الشأن أيضا، وتعد هذه العناصر التي يشملها القول كافية لتحقيق هذا الأثر بصرف النظر عن خصائص القائل أو سلطة منتج الخطاب.

1 - أطراف إنتاج الخطاب

يقدم الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية برنامج الاستحقاقات التشريعية 2003 ، اعتمادا على وسيلة محددة هي الجريدة من أربع صفحات، في الصفحة الأولى، هناك اسم الحزب : الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، مصحوبا بشعار البرنامج : برنامج التعاقد الاقتصادي والاجتماعي من أجل تفعيل النمو وإنعاش الشغل. كما تتضمن الصفحة الأولى رمز الحزب في الاستحقاقات وهو الوردية، إضافة إلى تقديم يمين الصفحة الأولى، بتوقيع عبد الرحمان اليوسفي الكاتب الأول للحزب. أما الصفحة الثانية فتحمل عنوان : محاور برنامج التعاقد، وهي التي تقدم في الصفحتين الثانية والثالثة وتفصل إلى ثلاثة محاور :

1 - برنامج استعجالي لدمج الشباب العاطل في الحياة العملية.

2 - تركيز الاهتمام على الأوراش ذات الوقع المؤكد على النمو وإنتاج الثروات

والتشغيل.

3 - اعتماد مخططات محلية لتفعيل الاستثمار وإنعاش الشغل.

وفي الصفحة الأخيرة تكملة عناصر البرنامج مع فقرة بعنوان : آفاق تنفيذ برنامج الاتحاد الاشتراكي، مع خاتمة.

إن صيغة تقديم خطاب البرنامج وشكل القناة الحاملة (الجريدة)، يشير إلى العناصر التي تسهم في التواصل على مستوى الخطاب السياسي ؛

إن تبني اسم الحزب وافتتاح تقديم عبد الرحمان اليوسفي على المستوى التلفظي بذات جماعية هي " الاتحاد الاشتراكي " (سيقبل الاتحاد الاشتراكي ...) بدلا من تذويت الخطاب باستعمال ضمير المتكلم، يحيل على أول عامل في أطراف إنتاج الخطاب هو العامل المتلفظ الذي ينتج الخطاب. ورغم توقيع عبد الرحمان اليوسفي الذي يحتتم به التوقيع، فإن المتلفظ يظل متمسما بخاصية الجماعية وحين يجري تغييرا في المنظور (علينا)، "يتعين علينا.. " فإنه يدمج مكونا آخر في المتلفظ هو "الشعب المغربي". أما العامل الثاني في التواصل، فيتمثل في الموضوع الذي تنصب حوله آليات الإقناع ووسائل بناء الثقة الخطابية واللغوية، ويتضح من خلال العنوان الفرعي في الصفحة الأولى : "برنامج التعاقد الاقتصادي والاجتماعي من أجل تفعيل النمو وإنعاش الشغل"، "برنامج التعاقد" يحيل على خطاب البرنامج الذي يفترض بناء تعاقد بين طرفي التلقي، يبيّن كل واحد منهما الآخر، ذلك أن القائل يبيّن الآخر من خلال تمفصلات الخطاب التركيبية واللغوية.

ويمثل الآخر العامل الثالث في التواصل، وهو المتلفظ له ويتحقق من خلال وحدتين في تقديم الكاتب الأول. إن المتلفظ له يعد حاضرا في الخطاب باستعمال وحدات معجمية تميز استهلال التقديم :

- أبناء الشعب المغربي

- الشعب المغربي

- الشعب المغربي

- للمغاربة

حيث تمثل المتلفظ-له ، ذات جماعية هي الشعب المغربي، وبعد تشخيصه من خلال هذه الوحدات التي تتكرر وتتوارد، يعمل المتلفظ على تحويل المتلفظ-له من ذات جماعية بمقومات ثقافية وسوسولوجية :

- الوحدة العرقية

- الوحدة الثقافية

إلى ذات تتسم بخصائص وظيفية، "إن الاتحاد الاشتراكي يتقدم أمام الناخبين.. " حيث يصبح المتلفظ-له هو الذات التي تقوم بفعل التصويت، وهنا يلاحظ تدرج الخطاب من التعميم إلى التخصيص لصفات وخصائص المتلفظ-له، ويرجع هذا التشديد والتحويل في وضعية المتلفظ-له لرغبة المتلفظ في

إبعاد صفة التواصل القائم على الرؤية للمواطن بصفته منجزا لفعل التصويت وحسب، ولكن الخطاب يبرز بعد الوحدة الثقافية أولا للمتلفظ أكثر من وصفه بصفته ناخبا. ويعد هذا التمثل جزءا من آليات بناء الثقة بين طرفي إنتاج الخطاب.

2- آليات بناء الثقة في خطاب البرنامج

1-2 - آليات خطابية

يتسم خطاب برنامج استحقاقات 27 شتنبر باستهلال يحمل توقيع عبد الرحمان اليوسفي، الكاتب الأول لحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية. تثير مقتضيات الخطاب وعناصر التقديم وخطاب والتقديم جملة من التساؤلات حول وظيفة خطاب التقديم؛ هل يتعلق الأمر بوظيفة التقديم التي يفترض أن يقوم بها "الكاتب الأول"، انطلاقا من قدرته بصفته مسؤولا،

الكاتب الأول ← مسؤول تنظيميا وسياسيا عن الحزب

أم يتعلق الأمر بمقومات أخرى دلالية يحيل عليها الخطاب، وتعد في ذات الوقت مقترنة بقيم سياسية وفكرية تسهم في إقناع المتلقي بالخطاب السياسي المقدم في سياق الانتخابات والرامي إلى إقناع المتلقي بمجموعة من الاختيارات والأفعال التي تشكل "إنجازا" يرمح في المستقبل.

إن الضمير التركيبي الذي تم اختياره هو ضمير الغائب الذي يبرز منذ الاستهلال موضوعية الخطاب والحياد الذي يمكن أن يكون محل نقاش حين تختار الذات القائلة الالتزام والتصريح به :

" بكل حماس وعزم وثقة في المستقبل... " (التقديم ، ص. 1)

بعد هذا الاستهلال، يعمل القائل على تحديد الذات التي توجه الخطاب إلى المتلقي، ويمثله

عامل جماعي :

" ... سيقبل الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية... " (التقديم)

يحدد هذا العامل بوضوح من خلال "المؤسسة" ، مؤسسة الحزب التي تعد فاعلا سياسيا واجتماعيا وفكريا يلتبس بالذوات والأشخاص، ولكنه يحيل على رصيد من القيم السياسية التاريخية والفكرية والإيديولوجية ورصيد من الفعل السياسي المتجذر في الماضي المقترن بمرحلة الاستقلال، ورحلة النضال من أجل الحريات السياسية والمؤسسات الديمقراطية.

مقومات زمنية ← مؤسسة الحزب ← الفعل السياسي الممتد إلى الماضي.

وتجد هذه الاختيارات في إنتاج الخطاب على مستوى التركيب والذوات القائلة، تفسيرها في

المنحى الإقناعي لتأسيس عقد ائتماني بين أطراف التفاعل.

خطاب الحزب ← المتلقي (الناخب).

حيث يحيل الخطاب ضمناً منذ الاستهلال على آلية تركيبية ودلالية تتمثل في الرغبة في التمييز بين الحزب بصفته حزبا تاريخيا وبين الأطراف الأخرى المتصارعة في فعل الاستحقاقات الانتخابية. يتضح هذا المنحى أكثر من خلال القول في خطاب التقديم :

" ... الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية ومعه كافة أبناء الشعب المغربي..."

يلجأ القائل إلى آلية الإدماج ؛ فبعد تحديد الذات الجماعية الأساسية : الاتحاد الاشتراكي، يوسع الذات الجماعية لتشمل عنصرا آخر هو "كافة أبناء الشعب المغربي" ، وهو أيضا عامل جماعي. يحاول الخطاب، بتبني تقنية الإدماج، تأكيد البعد الشعبي لمؤسسة الحزب وإعادة تجديد الثقة بين الحزب كفاعل في الماضي والحاضر ومستعد لمواصلة الفعل في المستقبل. إن تأسيس ذات جماعية موحدة تجمع بين " الحزب وأبناء الشعب" هو إجراء تركيبي وخطابي لتجديد الشرعية الشعبية والتاريخية والجمهورية، وهو أفق سياسي يأخذ بعين الاعتبار نتائج انخراط الحزب في تدبير الشأن العام للبلاد.

"سيقبل ... ومعه كافة أبناء الشعب المغربي على الحسم في مسارنا السياسي الوطني..."

الذات الجماعية ← الحزب / أبناء الشعب المغربي

يحدد القول الذات الجماعية المكونة من وحدة لإنجاز الفعل هي "الحسم" في المسار السياسي، ويتم التعبير عنه من خلال استعمال ضمير مغاير هو ضمير المتكلم الذي يجعل المسار السياسي هو " موضوع" مشترك ومصيري بالنسبة للذاتين المنصهرتين في ذات جماعية موحدة. ويعتمد الخطاب هنا بعض الصيغ التركيبية "نحن" التي تستثمر في الإعلانات الإشهارية لردم الهوة بين القائل - المعلن والمتلقي المستهلك المطالب بالإقبال على منتج، وتلغي هذه الصيغ التركيبية البعد البراكمتي في الخطاب، وهو الرغبة في جر الناخبين إلى التصويت للحصول على مقاعد تؤسس لقوة سياسية للحزب في مؤسسة البرلمان، بل يجعل الخطاب "المسار السياسي" مجالا من القيم السياسية التي تم طرقي الذات الجماعية ولا يقتصر على طرف دون آخر.

"... للمضي قدما نحو استكمال العديد من أوراق البناء والإصلاح، التي شهدتها بلادنا على

امتداد السنوات الأربع الأخيرة..." يحيل القول على انخراط الذات المركبة في فعل الحسم والمكون من أفعال جزئية :

" استكمال" في الزمن المستقبل ما بدأ في الماضي (أوراق البناء والإصلاح التي شهدتها بلادنا

على امتداد السنوات الأربع الأخيرة)، وهو ما يترجم سيرورة زمنية يلخصها مقوم زمني :

الاستمرارية ، استمرارية الفعل السياسي من الماضي إلى الحاضر ثم المستقبل. إذا كان الماضي تجسده القيم السياسية التاريخية المقترنة بالفعل السياسي الذي كان يهدف إلى تحقيق الاستقلال، فإن الحاضر تجسده عناصر الخطاب : "أوراش البناء والإصلاح" وهي عناصر خطابية تحيل على الفعل السياسي في الحاضر الذي تجسده مرحلة "التناوب" ، ويرمي الخطاب هنا أولا إلى شرعنة الممارسة السياسية للذات الأساسية التي وقعت التقدم، حيث لا يصبح القائل في الخطاب فاعلا سياسيا وتنظيما مرتبطا بالحزب ولكنه أيضا يتبنى وضعية الذات السياسية التي انخرطت في السلطة لتدبير الشأن العام، حيث تحيل على وضعية عبد الرحمن اليوسفي بصفته مسؤولا أدار التناوب وقام بتسيير الشأن العام الوطني، و يرمي الخطاب إلى إقناع المتلقي بالرصيد الآخر من القيم السياسية وهي قيم براكماتية، ترتبط بفعل سياسي، لكنه فعل سياسي ينصب على الواقع ليغيره ويفعل فيه.

يكتسي هذا الفعل بعدا إيجابيا لأن الخطاب يثمنه من خلال وحدات خطابية تدل على مقومات إيجابية ، فالوحدات "أوراش البناء" ، "الإصلاح.." تدل زمنيا على فتح أوراش في إطار الحاضر.

- وهي للبناء ← مقوم التشييد كمقوم إيجابي
- الإصلاح ← مقوم الإصلاح الذي يحيل على البناء والتشييد على أنقاض بنيات تتسم باللاقدرة وغياب الفعل، مما يؤدي إلى التحول من وضعية سلبية إلى وضعية إيجابية، لذلك فإن الخطاب يشرعن الممارسة السياسية داخل دائرة السلطة، وقيمها إيجابيا ويجعلها جزءا من قدرة الذات الجماعية لإنجاز فعل سياسي في المستقبل. يتوجه منتج الخطاب إلى المتلقي ليس من خلال الشرعية السياسية المقترنة بجذور الحزب التاريخية الوطنية والنضالية ولكن بمنظومة قيمية ترتبط بالعمل السياسي في الحاضر وتجسده مرحلة التناوب وهي مرحلة تثنم إيجابيا، وتدخل أيضا في سياق قرائن وآليات بناء الثقة بين الأطراف الفاعلة في الخطاب السياسي.

"... وبنفس التعبئة و اليقظة التي أبان عنها الشعب المغربي.."

يعود الخطاب إلى توسيع الذات القائلة تركيبيا على مستوى المستقبل ولكن من خلال الماضي (تجربة الانتقال الديمقراطي) ليدل على مقوم الاستمرارية الزمنية، وانخراط العامل الجماعي (الشعب المغربي) من خلال الوحدات المعجمية : "التعبئة واليقظة" في الفعل السياسي الذي لا يرتبط بالشرعية

التاريخية، ولكن بالإسهام في التدبير السياسي، ويصف هذا التدبير خطايا من خلال وحدات معجمية تدل على مقوم "التحول" أي الإسهام في إنجاز "التحول".

- الانتقال الديمقراطي

← التحول

← التحول : تحول البلاد من وضعية اللاديمقراطية إلى وضعية الديمقراطية.

لذلك فالخطاب يؤكد على إنجاز هو إنجاز انخراط الشعب المغربي في دعم الفعل السياسي الذي هو تسيير الشأن العام، وهو إنجاز غير مبرر خطايا لأنه لا يقدم العناصر التي تفضي إلى هذا الإنجاز، فهو قول تقريرى، يثمن فيه الخطاب الفعل السياسي المرتبط بتدبير الشأن العام إيجابيا. هذا الإنجاز الذي يبلور خطايا يقصد إلى الإقناع بأن الدعوة في الخطاب تستند على شرعية الفعل السياسي الميداني المقترن بتدبير الشأن العام والنجاح فيه انطلاقا من تثمينه شعبيا. يعتبر الخطاب ، من منظور قيمة واجب الفعل، الفعل الذي يتحدد على مستوى المستقبل. "يتعين علينا جميعا..."

حيث يقرر أن الفعل السياسي في المستقبل من خلال الضمير التركيبي (نحن) والوحدة "جميعا" ، يقدم بصفته فعلا جماعيا ويجدد من خلال جهة واجب الفعل، حيث يدل المحمول "يتعين" على ضرورة وواجب إنجاز الفعل.

← ضرورة واجب الفعل ← الفعل ← فرز

مجلس النواب من خلال الاستحقاقات.

2-2- آليات فكرية : مشروع التحول والتجديد

إن القول : "انتخابات 27 شتنبر 2002 ، يجب أن تشكل صفحة جديدة في التعاطي مع الشأن العام المغربي..."

يحيل على فعل يحقق تحولا ثانيا بعد الانتقال الديمقراطي وهو صفحة جديدة في تسيير الشأن العام، ويدل هذا القول على مقولة "التجديد" بصفته مقولة دلالية تخصص الفعل السياسي في بعده المرتبط بتجربة التناوب.

وفي سياق الحديث عن تحول انتخابات 27 شتنبر ، يعود الخطاب لإدراج العامل الجماعي : "الشعب المغربي".

" إن الشعب المغربي يملك من النضج والفتنة والذكاء ما يمكنه من قطع الطريق على الذين أساؤوا لتجارنا الديمقراطية السابقة ..."

وهو إدراج مقترن أيضا بتقييم للقدرات الفكرية لهذا العامل الجماعي : /النضج/

- النضج : مقومات : راشد، قادر على الحكم والتقويم.

- الفتنة - الذكاء ← المستوى الفكري المتقدم للقدرة على التمييز.

إن استعمال المنتج للخطاب هذه الوحدات، لتقدم قدرات العامل الجماعي: الشعب المغربي، وظيفية لأنها تقوم المهينة التي تقوم بفعل التصويت، التي تضم جملة "الناخبين"، لذلك فالتركيز على هذه القدرات والقيم التي تخص العامل الجماعي، يؤهلها لأن تقوم بفعل تواجه به فعل عامل آخر، وهو عامل مضاد سياسي، يجسده القول: "الذين أساؤوا ...". وهو عامل مضاد، جماعي ينسب له فعل سياسي وهو الإساءة للتجارب السابقة من خلال مقومات:

- الفساد الانتخابي

- التدخل في الاستحقاقات

- توجيه الاستحقاقات

وهو عامل جماعي غير أنه غير محدد المعالم، ويمنح الخطاب دينامية قوامها المواجهة والصراع من منظور منتج الخطاب. وهذا العامل الجماعي السياسي الذي لا يمكن، حسب استراتيجية الخطاب، أن يقوم بتسخير الذات الجماعية: "الشعب المغربي"، على مستوى الفعل السياسي: (فعل الانتخاب) انطلاقا من القدرة المعرفية التي تميزه والقائمة على مقومات معرفية:

- راشد (الرشد السياسي)

- المستوى الفكري القادر على التمييز.

وتضاف إلى هذه القيمة المعرفية، قيمة ثقافية هي الالتزام بالوطنية، وترسخها الوحدات "الحس الوطني":

- مقومات القدرة على التمييز

- الوطنية

- البعد الوطني

وهي قيم تضع حدا بين الفاعلين في مجال الفعل السياسي:

- ذوات فاعلة / فعل سياسي سلمي

- ذوات فاعلة / فعل سياسي إيجابي

كما أن هذه القيم المعرفية تسمح للذات الجماعية بتأويل أهمية السياق الاجتماعي الذي ينمو في مواجهة عناصر يضعها الخطاب في علاقة تدرج، ويسميها "بالرهانات" وتتضمن وحدة "الرهان" ، عاملين وفعالين :

- ذات جماعية ثقافية هي " البلاد" أو " الوطن" الذي يوجد في مواجهة عامل مضاد تراي ، اقتصادي ، اجتماعي ، تجسده العناصر :

- الوحدة الترابية / - في مواجهة المخاطر والمطامع الأجنبية.

- الاقتصاد الوطني / - في مواجهة نسبة النمو وضرورة تحقيق التماسك الاجتماعي.

- الملفات الاجتماعية / وقعها المؤكد على حياة المواطنين اليومية.

يتكون العامل المضاد من عناصر تدرج في وضعها الوظيفي :

- الوحدة الترابية وتتضمن العامل - الذخيل الأجنبي.

- الاقتصاد الوطني ويتضمن فعل إمكانية تحقيق الإخلال بالتماسك الاجتماعي.

- الملفات الاجتماعية وتأثيرها على الفرد والمجتمع.

وهي عناصر ترتبط بالإجماع، حيث يوجد حولها إجماع من طرف المتلقي، لذلك تقدم بأنها

عناصر تكون العامل المضاد ومقوم الإجماع الذي يميز هذه العناصر، يسهم في تحقيق الإقناع بالخطاب.

كما أن الوحدة المعجمية "الرهانات" التي تجسد هذا العامل-المضاد ، تتضمن أيضا فعالين :

النجاح أو الفشل، نجاح الذات في مواجهة هذا العامل المضاد أو فشلها ، والفشل يفرضي إلى إثبات

العناصر المكونة للعامل المضاد وهي المخاطر الأجنبية والاختلال الاجتماعي (الوقوع السلبي على حياة المواطنين).

خاتمة

لاحظنا أن خطاب التقديم بصرف النظر عن السلطة الذاتية والرمزية للمتلفظ، يعتمد مجموعة من الآليات التركيبية لإقناع المتلقي بصفته فاعلا في الاستحقاقات. وتتمثل في منظورات التلطف التي تعتمد ضمائر تركيبية (الغائب دون تذويت التلطف) تولد مقومات الموضوعية والحياد، وفي آليات الاندماج

العالمي من خلال توسيع الذات الجماعية بالجمع بين مؤسسة الحزب والذات الجماعية التي هي الشعب المغربي.

كما يستند الخطاب إلى آليات زمنية تؤسس مقوم الاستمرارية الذي يربط تدير الفعل السياسي بالاستقلال ومرحلة النضال من أجل المؤسسات وكذلك بتدبير مرحلة التناوب. كما يعتمد التقديم على آليات فكرية ترتبط باقتراح مفهوم التحول من نسق سياسي إلى آخر والتجديد في القيم السياسية التي ترهن المشهد السياسي المغربي اعتمادا على آليات المؤسسات وما تعتمد عليه من قوانين.

الهوامش

1- البرنامج الذي قدمه الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية في انتخابات 27 شتنبر 2003 ، وقد قدمه على شكل جريدة صحبة كتيب يقدم حصيلة عمل الفريق الاشتراكي للولاية التشريعية (97 - 02) ، تحت عنوان : جميعا لمواصلة البناء.

2- LANDOWSKI (Eric). *La société réfléchie*, Ed Seuil, 1989, P. 204.